بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمـــا بعـــد:

فإن الفكر الإنساني موصول الحلقات، لا تنفصل حلقة من حلقاته عن تاليتها، والجماعات الإنسانية لا تعيش بأفكار معزولة عما سبقها من الأفكار، وإنما يؤثر السابق في اللاحق، ويتأثر اللاحق بالسابق.

وأي جماعة إنسانية تجمعها رابطة معينة فإن أفكارها عبر امتداد الزمن إنما هي امتداد طبيعي لأفكارها في أول نشأتها، يختلف هذا الامتداد قوة وضعفا لكن يظل هناك خيطا يربط بين الأفكار أولاً وآخراً، فما الظن إذا كانت هذه الجماعة ترتبط برباط ديني عقائدي، الذي هو أقوى الروابط التي تجمع بين الناس؛ لأن عقائد أي أمة من الأمم إنما هي روحها، يسلمها جيل إلى جيل مع تغير الظروف والأزمان.

والأمة الإسلامية في هذا شأن أي جماعة إنسانية، ترتبط بعقيدة توحدها عبر امتداد الزمان والمكان، تؤلف بين قلوب أبنائها رغم تباعد ما بين أوائل هذه الأمة وأواخرها، فعقائد الأمة واحدة في أول نشأتها وأواخر أمرها.

obeikandl.com

وأي خلاف عقائدي، أو سياسي، أو فقهي، حدث بين الفرق الإسلامية في القرون الأولى لا بد أن تنسحب آثاره على المدارس الفكرية بعد ذلك بصورة أو بأخرى.

فالمدرسة العقلية مثلا – ممثلة فقهيا في الأحناف وعقائديا في المعتزلة – ما زالت آثارها تمتد في العصر الحاضر في صورة من صور الفكر الإسلامي المعاصر، وكذلك مدرسة الأثر – ممثلة في أهل الحجاز –لا يزال لها صور تطبيقية – تقل أو تكثر– في العصر الحديث.

والخوارج من الفرق الإسلامية التي كان لها دور فكري وسياسي في القرون الأولى لا يمكن إغفاله أو إهماله، وكان لآرائها في ذلك العهد صدي بعيد.

لذلك فإنني قد رأيت أن تكون رسالة التخصص **"الماجستير"** بعنوان: [**أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر**]، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها ما يلي:-

أولا: أن الأمة الإسلامية مرت في عصرها الحاضر – وخصوصا في العقدين الأخيرين بجملة من الأحداث والفتن أثرت على مسارها، وأعاقت حركتها، وعرضتها لفتن عديدة، كان من الممكن أن تتجنب الأمة ذلك كله بأن تتبع مسار تاريخها الفكري، لأن فتن العصر الحاضر هي صورة متكررة لفتن العهد الأول، والقرآن الكريم حين يعرض آراء مخالفة ويرد عليها فإنما يتوجه الحديث إلى المسلمين جميعا عبر امتداد الزمان، وكما يقول ولي الله الدهلوي: "لا ينبغي أن يظن عند تلاوة القرآن الكريم أن جداله ومحاجته كانا مع أناس قد انتهوا وانقضوا، كلا، بل إنه بحكم ما جاء

في الحديث: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[(١)]، ليست هناك من فتنة في عهد الرسالة صلى الله على صاحبها وسلم إلا ولها نماذج وأمثلة في عصرنا هذا"[(٢)].

ثانياً: أن أحدا لم يتطرق - فيما أحسب - إلى تأثر الفكر الإسلامي المعاصر بآراء الخوارج جملة، وذلك بأن تدرس آراؤهم، ويتم إسقاطها على الواقع المعاصر، ولم يتعد ما كُتب في هذا الموضوع أن يكون جزئيات، كتأثر فكر "**الحاكمية**" المعاصر بشعار الخوارج "**لا حكم إلا لله**"، أو تأثر فتة التكفير في العصر الحديث بنشأته عند الخوارج - كما سأعرض في حديثي بإذن الله تعالى.

فكانت الحاجة ماسة إلى استعراض آراء الخوارج جميعها، وبيان مدى تأثر الفكر المعاصر بها، وهل ثمة تشابه بين الحاضر والماضي، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون توافقا في الرؤى أدى إلى توافق في الأحكام والنتائج؟

ثالثا: في يقيني أن أي فكر يحمله فرد أو جماعة يحمل بين ثناياه الصواب والخطأ، فليس الصواب المحض حكرا على فئة معينة، وليس

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري: كتاب "أحاديث الأنبياء" باب "ما ذكر عن بني إسرائيل" ٦/ ٥٧١ رقم٣٤٥٦.
وكتاب: "الاعتصام" باب "قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم" ١٣/ ٣١٢ رقم ٧٣٢٠.
ومسلم: كتاب "العلم" باب "اتباع سنن اليهود والنصارى" ٨/ ٤٧٢ رقم ٢٦٦٩. الكل عن أبي سعيد الخدري.

(2) الفوز الكبير في أصول التفسير. ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي. ص ٣٩، نقله من الفارسية إلى العربية: سليمان الحسيني الندوي، دار البشائر – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

الخطأ المحض صفة لطائفة غيرها، لكن قد يغلب صواب هذا على خطئه، ويتوارى صواب ذاك أمام خطئه، وأن أمثل أسلوب لمواجهة أي فكر هو عرضه بما له من حسنات، وما عليه من سيئات، مع النظرة المحايدة، والنقد البناء، والمنهج الواضح، حتى يتبين للأمة سبيل الصواب فتتبعه، وتعرف سبيل الخطأ فتتنكبه.

لهذه الأسباب اخترت هذا الموضوع، مع قصر باعي وقلة بضاعتي، ومع علمي بما يكتنفه من صعوبات، وما يعترضه من عقبات، وكان أشهر ما واجهني من صعوبات في بحثي هذا:

أولاً: أنه لكي ننسب رأيا للخوارج فلا بد من توخي الدقة في هـذه النسبة، وذلك بأن يرجع لأقوالهم في مصادرها الأصلية، لكن الخوارج لم يؤثر عنهم مؤلفات خاصة بهم كما أثر عن باقي الفرق الإسـلامية، وكما يقول ابن تيمية: **"وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب غيرهم"**[(١)].

فاستعنت في بيان أقوال الخوارج وآرائهم بكتب الفرق التي صنفها علماؤنا القدامى، أمثال الأشعري، والبغدادي، والشهرستاني، وغيرهم، وبما كتب عنهم من دراسات حديثة، لعل أشهرها:

الخوارج والشيعة: ليوليوس فلهوزن، آراء الخوارج: لعمار طالبي، الخوارج والأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم: للدكتور مصطفى حلمي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية: للدكتور غالب بن علي عواجي،

(1) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية ١/ ٣٦.

وغيرها من الدراسات المعاصرة.

ثانيًا: تكمن الصعوبة الحقيقية للبحث في المراجع التي تحمل الفكر الخارجي في العصر الحديث، بحكم أن كثيراً من التنظيمات الحركية التي تبنت هذا الفكر قد اختفت من الساحة نتيجة الصراع بينها وبين السلطة، أو لأنها غير قادرة على إبداع أفكار جديدة تجعلها قادرة على الاستمرار، ثم إن تداول مثل هذه الأفكار على هيئة كتاب أو مخطوط لا يزال من الأمور المجرمة قانوناً.

وقد كان هذا أكبر المصاعب التي واجهتني، وقد استعنت في تذليل هذه الصعوبة بما يلي:

١) الحصول على بعض هذه المصادر عن طريق الصلات الشخصية.

٢) استخراج هذه الأفكار من بعض الكتب التي أرخت لهذا الفكر في هذه الحقبة والتي عرضت أهم وثائقه وأفكاره، ومنها - على سبيل المثال:-

تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات. للدكتور رفعت سيد أحمد، ظاهرة الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة. للدكتور: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، التكفير والهجرة وجها لوجه. لرجب مدكور، الحكم وقضية تكفير المسلم. للمستشار سالم البهنساوي.

٣) عن طريق شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، فمن خلال مواقع هذه التنظيمات استطعت الحصول على كثير من كتبهم وأدبياتهم التي تعرض فكرهم وآراءهم.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تقسيمه إلى: مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهم الصعوبات التي واجهتني في البحث، ومنهجي في البحث.

وأما التمهيد فيشتمل على مسألتين:-

المسألة الأولى: أسباب ظهور الفرق الإسلامية.

المسألة الثانية: أهم مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية.

obeikandl.com

أما الباب الأول فكان عنوانه

الخوارج النشأة والتاريخ

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: عوامل النشأة والتسمية.

الفصل الثاني: مبادئ الخوارج.

الفصل الثالث: فرق الخوارج وآراؤها.

الفصل الرابع: حركات الخوارج وثوراتهم.

الفصل الخامس: أشهر زعماء الخوارج.

الفصل السادس: الحكم على الخوارج.

والباب الثاني بعنوان

تأثير آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الإمامة وشروطها. ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: الإمامة عند أهل السنة.

المبحث الثاني: الإمامة عند الخوارج.

المبحث الثالث: أثر رأي الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

الفصل الثاني: التكفير. ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: التكفير عند أهل السنة.

المبحث الثاني: التكفير عند الخوارج.

المبحث الثالث: أثر رأي الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

الفصل الثالث: الحاكمية. ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

obeikandl.com

المبحث الأول: مفهوم الحاكمية عند أهل السنة.

المبحث الثاني: مفهوم الحاكمية عند الخوارج.

المبحث الثالث: أثر رأي الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

الفصل الرابع: الخروج على الحاكم. ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: الخروج على الحاكم عند أهل السنة.

المبحث الثاني: الخروج على الحاكم عند الخوارج.

المبحث الثالث: أثر رأي الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

الفصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوارج.

المبحث الثالث: أثر رأي الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر.

واشتملت الخاتمة على أهم النتائج المستخلصة من البحث، والتوصيات.

وقد قام عملي في البحث على المنهج التالي:-

١) جمعت مادة البحث من مصادرها الأصلية، واجتهدت في توثيق نسبة كل قول لقائله، وكل مذهب للقائلين به.

٢) اجتهدت في تجلية مذهب أهل السنة في المسائل موضع الخلاف بأوضح بيان، وأجلى برهان، لأن آراءهم هي الحاسمة عند الخلاف.

٣) تقتضي طبيعة البحث عدم الإطالة في الباب الأول الخاص بالناحية التاريخية، لأنها ليست من مقاصد البحث الرئيسة، وإنما سأعرضها

obeikandi.com

بالصورة التي تبين مذهب الخوارج وآراءهم، وتعرض أفكارهم مع عدم الاستطراد.

٤) حرصت عند عرض نظرية أو مفهوم عند أحد القائلين به ألا أتدخل في كلامه وعرضه إلا بالقدر الذي يسمح بعرض فكره ورؤيته الخاصة به.

٥) اجتهدت في أن أبدي رأيي في كل مسألة من مسائل البحث، ويكون تعليقي عليها إما في نهاية المسألة، أو بين ثناياها للربط بين أجزائها.

٦) المسائل التي تتعدد فيها وجهات النظر، حرصت على أن أعرض كافة الآراء في المسألة، ثم أختار منا ما أراه راجحا مؤيدا ذلك بالدليل.

٧) مقصد البحث بيان التأثير والتأثر الحادث بين اللاحقين والسابقين، أيا كانت هذه الأفكار وموقعها من الصحة والخطأ، ولم أتعرض للرد على الآراء المخالفة إلا بقدر يسير، يخدم مقصد البحث وغايته.

٨) عزوت الآيات.

٩) خرجت الأحاديث من مظانها، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وما كان في غيرهما اجتهدت في تتبعه في مظانه الممكنة مع الحكم على إسناده بما يناسبه من صحة أو حسن أو ضعف.

١٠) ترجمت للأعلام المذكورين في صلب البحث ترجمة موجزة تكفي للتعريف بهم.

١١) عرفت أكثر الفرق الوارد ذكرها في البحث، وخاصة من لهم صلة مباشرة بالبحث.

١٢) ترجمت للبلدان والأماكن غير المشهورة.

١٣) قمت بعمل فهارس علمية، وهي:

أ- فهرس الآيات القرآنية. ب- فهرس الأحاديث النبوية.

جـ - فهرس الأعلام المترجم لهم. د- فهرس الفرق.

هـ- فهرس البلدان والأماكن. و- فهرس المصادر والمراجع.

ز- فهرس الموضوعات.[1].

وبعد: فهذا البحث ليس بحثا تاريخيا، وإن كان التاريخ لحمته وسداه، وليس بحثا نقديا، وإن كان النقد مبثوثا في ثناياه، ثم إنه ليس بحثا فلسفيا، وإن كانت له فلسفته ورؤاه، وإنما هو قراءة للأفكار، ورصد للأحداث، وتتبع لمسار فكر يربط بين الماضي والحاضر، وتأصيل لنظرية قد تسهم في فهم الماضي وقراءة الواقع واستشراف المستقبل.

وبعد: فهذا موضوع متشعب الجوانب، متعدد الآراء، وجهدي جهد متواضع، فلا أدعي أنني قد وفيت الموضوع حقه، واستكملته من جميع جوانبه، ولكن حسبي أنني لم أدخر في سبيل ذلك وسعا، فإن كنت قد أدركت بعض ما أملت وأصبته، فهو محض فضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني، وأستغفر الله من سوء عملي، فالكمال لله وحده، والعصمة لرسله عليهم السلام، وإلا فحسبي أنني قد حاولت الخير جهدي، وأسأل الله تعالى لي ولكل مجتهد التوفيق والأجر، وأستغفر الله تعالى من السهو والخطأ والتقصير.

وإنه لقمن بكل واقف على هذا البحث أن يسدد ما به من خلل، وأن يستر ما به من زلل، فلقد علمت الأوائل والأواخر أنـه ليس من النقص أمان،

---

(1) اكتفيت هنا بذكر فهرس الآيات والأحاديث والأعلام والمصادر.

خصوصا إذا صدر الكاتب عن وفاض ليس فيه من العلم إلا القليل، وكتب بقلم كليل.

اللهم لا تعذب يدا كتبت تريد نفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين عن دينك، ولا لسانا أراد الذب والدفاع عن شريعتك، ولا تحرمني اللهم بفضلك خير ما عندك بشر ما عندي.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا نَسِينَا إِن أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عبد التواب محمد عثمان

obeikandl.com

تمهيد

ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: **أسباب ظهور الفرق الإسلامية.**

المسألة الثانية: **أهم مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية.**

opeikanon.com

obeikandl.com

المسألة الأولى
أسباب ظهور الفرق الإسلامية

إن البحث في تاريخ فرقة من الفرق الإسلامية يرجع بنا إلى البحث في نشأة هذه الفرق على العموم، وأسباب الخلاف بينها، وكيف حدث هذا الخلاف.

ويمكننا أن نعود بأسباب هذا الاختلاف إلى سببين رئيسين:

أحدهما: لا كسب للعباد فيه، وهو الراجع إلى ما قُدِّر أزلاً، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[(١)]، وفي قول جماعة من المفسرين أن قوله:{**ولذلك خلقهم**} معناه: وللاختلاف خلقهم[(٢)].

أما السبب الثاني: فهو مقدور للعباد، وهو مجال حديثنا، ونستطيع أن نحصر **أهم أسباب الخلاف والفرقة فيما يلي**:-

١ - النصوص الشرعية الموهمة للاختلاف:-

إننا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن العلوم الإسلامية جميعها تجد لها منطلقا من القرآن الكريم في منهجها وموضوعها، بل حتى في نشأتها[(٣)].

---

(1) سورة هود الآيات "١١٧ –١١٨".

(2) انظر: الاعتصام. للشاطبي ٢/ ٣٩٠ – ٣٩١ بتصرف.ضبطه وصححه الأستاذ/ أحمد عبد الشافي. المجموعة الدولية للطباعة، طـ الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م.
وانظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٤٣ دار الفكر– بيروت ١٤٠٥هـ، القرطبي ٩/ ١١٥، دار الشعب – الثانية١٣٧٢هـ.

(3) يلاحظ أن سبب نشأة أغلب العلوم الإسلامية إنما كان القرآن محوره، فعلم النحو

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كان لهما أثر كبير في نشأة علم الكلام، وفي تحزب رجاله، وانقسام الفرق في بداية ظهورها " **فالقرآن الكريم بجانب دعوته إلى التوحيد والنبوة وما إليهما، عرض لأهم الفرق والأديان التي كانت منتشرة في عهد محمد ﷺ، فرد عليهم، ونقض قولهم**"(١).

إضافة إلى أن القرآن الكريم قد دفع العقول إلى التفكير والتأمل، وحث المسلمين على النظر والتدبر، فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢) ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، ﴿ إِنَّ فِى

مثلا وضع قواعده أبو الأسود الدؤلي لما سمع قراءة خاطئة في قول الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [سورة التوبة آية ٣].

انظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٢٤٥، إنباه الرواة على أنباه الرواة للقفطي ١/ ٥.

ويظهر ذلك جليا في سؤال هارون الرشيد للإمام الشافعي: كيف معرفتك بالقرآن؟ فقال له: عن أي علومه تسألني؟ فإن في القرآن علوما كثيرة...

انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٩/ ٨٧. دار الكتاب العربي – بيروت – الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(فالحياة الإسلامية كلها ليست سوى التفسير القرآني، فمن النظر في قوانين القرآن العملية نشأ الفقه، ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقيا نشأ الكلام، ومن النظر فيه ككتاب أخروي نشأ الزهد والتصوف والأخلاق، ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة...). انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الدكتور/ علي سامي النشار ١/ ٢٢٧، دار المعارف – الطبعة الثامنة، بدون تاريخ.

(1) ضحى الإسلام، الأستاذ/ أحمد أمين ٣/ ١، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة.

(2) سورة يونس من الآية "٢٤".

ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[٢].

فبالنظر في القرآن الكريم وجد الناس **ما يهيئ لهم أسباب الخلاف من حيث:**

١) بيانه للعقائد الإسلامية في شأن الألوهية والنبوة والبعث واستدلاله عليها.

٢) مناقشته للعقائد والأفكار المضادة كالدهرية والوثنية اليهودية.

٣) إطلاقه للعقول من قيودها، ودعوته إياها للنظر والتفكير.

٤) احتوائه على المحكم والمتشابه من الآيات[٣].

فالقرآن الكريم عرض العقيدة مع أدلتها، وأسهب في تقريرها، ورد على مخالفيها، وقد سار المتكلمون على نهج القرآن **"فقد نهج القرآن الكريم في نقده نهجا عقليا في اتجاهين رئيسين: نقد عقدي، أي ميتافيزيقي، ونقد أخلاقي، ولذلك اتسمت أبحاث المسلمين وكتبهم المختلفة في العقائد بهذه السمة النقدية"**[٤].

فالفرق الإسلامية المتعددة تلتمس في القرآن الكريم ما يؤيد آراءها، ويدفع آراء المخالفين، فمن يرى الجبر مثلا يحتج بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا

---

(1) سورة الرعد من الآية "٣".

(2) سورة الرعد من الآية "٤".

(3) المدخل إلى دراسة علم الكلام. الدكتور/ حسن محمود الشافعي، ص٥٦ بتصرف. مكتبة وهبة – الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١ م.

(4) مباحث في علم الكلام والفلسفة. الدكتور / علي الشابي، ص٢٧، دار أبو سلامة للطبع والنشر، تونس، الطبعة الأولى.

obeikandl.com

تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[١]، ومن يرى الاختيار الإنساني يحتج بقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢].

وهكذا فإن صاحب كل رأي يلتمس لرأيه من كتاب الله تعالى دليلا وشاهداً، ففي مشكلة خلق القرآن (في خمسة مواضع من القرآن الكريم آيات تدل ضمنا على أن القرآن مخلوق، وفي موضعين ما يدل على أنه مجعول، والقائلون بقدم القرآن يذكرون في ذلك آيات أخرى)[٣].

هذه الآيات، وفهم المتكلمين لها، واستدلالهم بها، ومحاولة إقامة البناء العقدي لآرائهم مستندا على النصوص الشرعية، كـل ذلك يجعلنا نقول: **"أن القرآن والحديث، وبالأخرى لغة القرآن ولغة الحديث سبب ثان يضاف إلى الخلافات السياسية في إيجاد التحزب في الرأي، والتفرق في فهم العقيدة"**[٤].

لكن ثمة أمر ينبغي أن يكون في الاعتبار، وهو أن آيات القرآن الكريم في حد ذاتها ليست مدعاة للاختلاف بين المتكلمين عند من يأخذها كنسق متكامل، ويفهم الآية في ضوء فهم باقي النصوص الشرعية، وإنما يأتي الخلاف، ويكون القرآن الكريم مثار الجدل، وسبب التفرق عند النظر

---

(1) سورة الكهف من الآيات "٢٣- ٢٤".

(2) سورة الكهف من الآية " ٢٩".

(3) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام. يحيى هاشم حسن فرغل ص٣٣، ط مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢.

(4) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي. الدكتور:محمد البهي ص ٣٥، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.

إلى الآية الكريمة بمعزل عن غيرها من آيات القرآن الكريم " **فليست آيات الجبر وآيات الاختيار لتثير فتنة أو بلبلة إلا لدى المبطلين الذين كانوا بغير ذلك يضلون ويعترضون، وإنما هي شحذت العقول، وأثارت التفكير**"[(١)].

٢-تطور العقيدة الإسلامية من مرحلة التسليم القلبي إلى مرحلة النظر العقلي.

وعى الصحابة رضوان الله عليهم أن هناك أمورا لا يجوز الخوض فيها، ولا يحيط بها علم الإنسان المحدود، وقد كان النبي ﷺ يؤكد لهم على هذا الأمر، حتى يتم الحفاظ على العقيدة بيضاء نقية.

فعن أبي هريرة[(٢)] ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، ثم قال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا**»[(٣)].

---

(1) في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين. الدكتور: أحمد محمود صبحي ١/ ٩٩، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩.

(2) أبو هريرة الدوسي اليماني، اختلف في اسمه على أقوال عدة أرجحها: عبد الرحمن بن صخر، حصّل عن النبي ﷺ علما كثيرا مباركا، كان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع عام خيبر، يحتوي مسنده على ٥٣٧٤حديثا، توفي عام٥٧هـ.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ٢٠٢، أسد الغابة ٦/ ٣١٨، الإصابة ٤/ ٢٠٢، حلية الأولياء ١/ ٣٧٦.

(3) رواه الترمذي في سننه: كتاب "القدر" باب "ما جاء في التشديد في الخوض في القدر" ٤/ ٤٤٣ رقم [٢١٣٣] وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها. وللحديث طرق أخرى بالفاظ متقاربة:

والتزم الصحابة بهذا، فلم يتحدثوا في متشابه القرآن، ولا في المسائل الكلامية التي أطلت برأسها بعد ذلك، واشتد إنكارهم على من يفعل ذلك،

"فعن سليمان بن يسار[١] أن رجلا يقال له صبيغ[٢] قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن. فأرسل إليه عمر[٣]، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن صبيغ، فأخذ عرجونا من تلك

أخرجه: ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو، في "المقدمة " باب "في القدر" ١/ ٣٣ رقم [٨٥]، وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأحمد في مسنده: ٢/ ١٧٨، ١٩٦ عن عبد الله بن عمرو.

والطبراني في المعجم الأوسط: ٢/ ١٨٢ رقم [١٣٣٠].

ورواه عن أنس: أبو يعلى في مسنده ٥/ ٤٢٩ رقم [٣١٢١].

والحديث بهذه الطرق يصير حسنا إن شاء الله.

(1) سليمان بن يسار، مولى ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، يكنى بأبي أيوب، فقيه روى عن جملة من الصحابة، قال فيه الحسن بن محمد بن الحنفية:هو عندنا أفهم من سعيد بن المسيب، قيل: مات عام ١٠٧هـ، وقيل: ١٠٤

تذكرة الحفاظ ١/ ٩١، الجرح والتعديل ٤/ ١٤٩، تهذيب الكمال ١٢/ ١٠٠، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨٤.

(2) صبيغ بن عسل، ويقال: ابن سهل الحنظلي، له إدراك، ذكر أنه كان يحمق، وفد على معاوية وكان سيدا في قومه، وبعد قصته مع عمر صار وضيعا فيهم.

الإصابة ٢/ ١٩٨.

(3) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بعد عشرين رجلا، شهد المشاهد كلها، وولي الخلافة بعد أبي بكر ﷺ، مدة عشر سنين وخمسة أشهر، له أوليات كثيرة، توفي عام٢٣هـ.

الإصابة ٢/ ٥١٨، الاستيعاب ٢/ ٤٠٦، طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠١، تذكرة الحفاظ ١/ ٥.

العراجين فضربه حتى دمى رأسه، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري[(١)]: أن لا يجالسه أحد من المسلمين"[(٢)].

ومن هذه الحادثة أخذ الإمام الشافعي[(٣)] ﷺ قوله: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام"[(٤)].

---

(1) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم قديما وقدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبي ﷺ على اليمن، ثم استعمله عمر وعثمان، كان حسن الصوت بالقرآن، فتح الأهواز وأصبهان، توفي سنة ٤٢هـ وله نيف وستون سنة. الإصابة ٢/ ٣٦٠، الاستيعاب ٢/ ٣٧١.

(2) رواه الدارمي في سننه: "المقدمة" باب " من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع" ١/ ٦٦ رقم ١٤٤.ورواه مختصرا: معمر بن راشد في الجامع ١١/ ٤٢٦ ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ.

وأشار إليه مالك في الموطأ: كتاب " الجهاد" باب " ما جاء في السلب في النفل" ٢/ ٣٦٤ عن ابن عباس، ط عبد الباقي. وحكم الحافظ ابن حجر بالصحة على أسانيد هذه القصة. انظر: الإصابة ٢/ ١٩٩.

(3) محمد بن إدريس بن العباس القرشي، ولد بغزة، أول من صنف في أحكام القرآن، ووضع علم الأصول، شاعر مجيد، عارف بالقراءات، موصوف بالإتقان، مات أول شعبان عام ٢٠٤هـ، وله أربع وخمسون سنة.

التاريخ الكبير ١/ ٢٤، الأنساب ٧/ ٢٥١-٢٥٤، شذرات الذهب ٢/ ٩-١١.

(4) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، للإمام جلال الدين السيوطي ١/ ٩٥ تحقيق الدكتور: على سامي النشار، والسيدة: سعاد علي عبد الرازق،

فالسلف الصالح رضوان الله عليهم التزموا أن يكونوا ممن قال تعالى عنهم: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1]. لذلك وردت آثار كثيرة عن السلف تنهى عن الخوض في المسائل الاعتقادية التي لم يتكلم فيها السابقون، والتي سكت عنها النبي ﷺ وأصحابه الكرام[2].

وهذه هي العقيدة الصافية التي مثلها الصحابة رضوان الله عليهم وحملها عنهم السلف الصالح، والذي يمثلها أصدق تمثيل قول الإمام مالك[3] رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: " الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة،

مجمع البحوث الإسلامية – سلسلة إحياء التراث الإسلامي.

(1) سورة آل عمران من الآية " ٧ ".

(2) مثال ذلك: ما ورد عن أبي حنيفة أنه قال: (لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام).

انظر: التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الدكتور: مصطفى عبد الرازق ص٢٦٧، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

وعن محمد بن عبد الله بن الحكم قال: قال لي الشافعي: " يا محمد إن سألك رجل عن شئ من الكلام فلا تجبه؛ فإنه عن سألك عن دية فقلت: درهما أو دانقا، قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شئ من الكلام فزللت قال لك: كفرت".

انظر: صون المنطق ١/ ١٠٥ وما بعدها.

(3) مالك بن أنس بن أبي عامر، إمام دار الهجرة، ولد عام ٩٣على الأرجح، تأهل للفتيا وله إحدى وعشرون سنة، أحد الأئمة الأربعة، له "الموطأ "، " رسالة في القدر"، " رسالة في الأقضية"، مات عام ١٧٩هـ. ترتيب المدارك ١/ ١٠٢ – ١٠٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧-٢١٣، حلية الأولياء ٨/ ٢٨٣، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٥٠.

والسؤال بدعة، والإيمان بالاستواء واجب"[(١)].لكن تأتي فترة قد تضعف هذه الفطرة في النفوس، ويدخل في أمور العقيدة مؤثرات خارجية، ومشكلات داخلية "فالدين - أي دين - لا بد أن ينتقل المؤمنون به إلى مرحلة ثانية، فيها بحث ونظر، وصياغة فلسفية للعقائد الدينية"[(٢)].

وحينئذ يبدأ البحث في المسائل المسكوت عنها، مثل الصفات، وأفعال العباد، ومشكلة خلق القرآن، ورؤية الله تعالى، وتتعدد الأقوال والآراء في كل مسألة، ويتعصب صاحب كل رأي لرأيه، وينتصر له أشياعه، فتتكون المذاهب والفرق المتعددة "فموقف الجماعة الإسلامية من عقيدة اعتقدتها يتمثل دائما في مظهرين متواليين: في مظهر الإيمان القوي، ثم مظهر التفهم والتعقل، وكلما خفت حرارة الإيمان في القلوب كلما برزت ناحية التفهم للعقيدة في الأذهان، وبالأحرى كلما برزت ناحية الاختلاف في فهمها"[(٣)].

٣- ظهور مشكلات جديدة على الساحة الفكرية الإسلامية:-

كان المسلمون الأوائل إذا التبس عليهم أمر من الأمور رجعوا سريعا للنبي ﷺ، فكانت كلمته مرجعا يرجع إليه المختلفون، فلا يبقى مجال للنزاع

---

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات: باب "ما جاء في قول الرحمن على العرش استوى" ص ٤٠٨.

قال ابن حجر في فتح الباري: بسند جيد. ١٣ / ٤١٦، وأخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ٣/ ٣٩٨ رقم ٦٦٤، تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر.

(2) في علم الكلام. أحمد محمود صبحي ١/ ٢٣.

(3) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي الدكتور: محمد البهي، ص ٣٨ – ٣٩.

والاختلاف، وكذلك كان الحال مع كبار الصحابة رضوان الله عليهم، حتى إذا ما بَعُد عهد الناس بالنبوة، بدأت تظهر مشكلات جديدة على الساحة، لا يستطيع الناس أن يصلوا إلى قول فصل فيها، أو بالأحرى تتفاوت أفهامهم حولها، فتتعدد الآراء وتتشعب.

وعلى سبيل المثال، لما حدث الخلاف بين علي[١] ومعاوية[٢] رضوان الله عليهما حول الخلافة، تعددت الآراء بين قائل: إن الخلافة تثبت بالنص، وقائل: إنها تثبت بالتعيين، وبالرأي الأول قال الشيعة[٣]، وبالرأي الثاني قال أهل السنة.

---

(1) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، شهد المشاهد كلها، وحمل اللواء كثيرا، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان ﷺ، قتله عبد الرحمن بن ملجم في السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ، وهو ابن ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥، وقيل غير ذلك.
الإصابة ٢/ ٥٠٧، الاستيعاب ٣/ ٢٦ –٢٧، أسد الغابة ٤/ ١٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠.

(2) معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، أمير المؤمنين، أسلم قبل أبيه، وما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح، من كتبة الوحي للنبي ﷺ، كان أميرا بالشام عشرين عاما، بويع بالخلافة سنة ٤١هـ، توفي في النصف من رجب عام ٦٠هـ.
طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢، الاستيعاب ٣/ ٣٩٥، أسد الغابة ٤/ ١٦، الإصابة ٤/ ٣٨٥.

(3) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً ﷺ، وقالوا بإمامته نصا ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيرهم، أو بتقية من عندهم، وعدوا الإمامة ركن الدين، ويسمون الروافض، وهم فرق كثيرة، منهم الغالي الخارج عن الإسلام، ومنهم المعتدل.نظر:مقالات الإسلاميين١/ ٦٥-١٦٦، الملل والنحل١/ ١٤٤.

obeikandi.com

وفي شروط الإمامة أيضا، برز رأيان على الساحة، بين من يحصرها في قريش، ومن يجعلها عامة بين المسلمين جميعا، والتفاضل بالتقوى، فقال بالرأي الأول أهل السنة، وإلى الثاني جنح المعتزلة.

ولما ظهرت مشكلة مرتكب الكبيرة والحكم على فاعلها، تشعبت فيها الآراء أيضا، فقائل: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأن فاعل الكبيرة مؤمن، وأنها لا تتنافى مع الإيمان الذي في قلبه، وهذا قول المرجئة[١]، على حين ذهب المعتزلة[٢] إلى أنه في منزلة بين الإيمان والكفر، وقال الخوارج: إنه فاسق كافر.

وعندما ظهر من ينادي بالجبر، وأن الإنسان مجبور على فعله، ظهر في المقابل من يقول بالاختيار، ومسئولية الإنسان على أفعاله.

فالمشكلات الجديدة التي استحدثت في العالم الإسلامي، استدعت

---

(1) المرجئة: الإرجاء على معنيين: الأول: التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، فيقصد بالمعنى الأول: تأخير العمل عن الإيمان، وبالمعنى الثاني: أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة.

انظر: مقالات الإسلاميين١/ ٢١٣ –٢٣٤، الملل والنحل١/ ١٣٧، الفرق بين الفرق ص٢٠٢.

(2) المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل الحسن البصري في القصة المشهورة، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، أو القدرية، وأصول مذهبهم: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد صارت المعتزلة إلى طوائف عدة، وهم أصحاب النزعة العقلية في الفكر الإسلامي.

مقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥ –٣٣٧، الملل والنحل ١/ ٣٨ – ٧٢.

إبداء الرأي فيها، مما أحدث جوا فكريا تنمو معه المذاهب والفرق، الصحيح والسقيم، حيث يقبل المجتمع الصحيح، وتطوي الأيام السقيم.

٤- العصبية القبلية:-

حرم الإسلام التعصب للجنس أو اللون أو القبيلة، وأبطل كل دعاوى العصبية، حيث خاطب الناس جميعا خطابا واحدا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[(١)].

وعظمت عناية النبي ﷺ بوحدة الأمة وارتباطها، وعد الدعوة إلى العصبية ربما تخرج من الإيمان فقال ﷺ: «**ليس منا من دعا على عصبية، ليس منا من قاتل على عصبية، ليس منا من مات على العصبية**»[(٢)].

وظل المجتمع الإسلامي على هذه الصورة المثالية فترة من الزمن، لكن سرعان ما شبت نار العصبية في المجتمع مرة أخرى، عادت أول ما عادت مع حركة الردة، لما تنبأ مسيلمة الكذاب[(٣)] اتبعه الناس على

---

(1) سورة الحجرات من الآية " ١٣".

(2) رواه أبو داود في سسنه: كتاب " الأدب " باب " في العصبية" ٤/ ٣٣٤ رقم ٥١٢١ عن جبير بن مطعم. والبغوي في شرح السنة: كتاب " الأدب" باب "العصبية" ١٣/ ١٢٢ رقم ٣٥٤٣. وفي إسنادهم: محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، وثقه ابن حبان في الثقات [٥/ ٣٦٢]، وضعفه الباقون. انظر: تقريب التهذيب ص ٤٩٣، الجرح والتعديل ٧/ ٣١٩، وباقي رجال الإسناد ثقات.وفي الباب عن أبي هريرة، أخرجه مسلم

(3) مسيلمة بن حبيب الكذاب، من بني حنيفة، كتب إلى النبي ﷺ يدعي أنه أشرك معه في النبوة، في آخر سنة عشر من الهجرة، ألف كلاما يعارض به القرآن، قتله وحشي في حرب اليمامة. تاريخ الطبري ٢/ ٢٠٣، ٢٨٠ دار الكتب العلمية،

العصبية، حتى قال قائلهم: "**أشهد أنك كذاب، وأن محمدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر**"[١].

واستيقظت العصبية مرة أخرى، واشتد التناحر بين القبائل، كل قبيلة تناصر مذهبا وتتعصب له، وكانت هذه العصبية سببا في نشوء فرق إسلامية، ثم كانت سببا في اختلافها فيما بينها، وكان كل مذهب أو فرقة يعتمد على عشيرة، فالخوارج مثلا (معظمهم من قبيلة تميم)[٢]، وروي "أن عليًّا كان لا يعدل بربيعة أحدا من الناس، فشق ذلك على مضر، وأظهروا لهم القبيح"[٣].

فكانت كل طائفة يعز عليها أن تكون الصدارة لغيرها، فظهر التناحر، واشتدت العداوة، وأدى ذلك إلى نشوء فرق جديدة، ونمو فرق كانت موجودة.

٥- التقاء الإسلام بحضارات جديدة:-

كان التقاء الإسلام بهذه الحضارات يتم عبر عاملين:-

العامل الأول: دخول طوائف كثيرة في الإسلام من الديانات الأخرى، ولا ريب أن بعض هؤلاء لم يعصمه الإسلام من عقائد قديمة تجول في نفسه، يبثها بين المسلمين.

الأولى ١٤٠٧هـ، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٧٩، مكتبة المعارف – بيروت.

(1) تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٧، البداية والنهاية ٦/ ٣٢٧.

(2) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٧٠، أصدرها بالعربية: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، راجعها من قبل وزارة المعارف:الدكتور محمد مهدي علام.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٥٠٢.

يقول ابن حزم[١]: "لما امتحن الفرس بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات كثيرة، ففي كل ذلك كان يظهر الله الحق... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع"[٢].

هذا التغيير الذي حدث في المجتمع، وفي أفراده، استتبعه تغيير في العقائد والأفكار وطرائق الحياة، فتباينت الأفهام، لأنهم "أجناس مختلفة دخلت الإسلام وهي تحمل معها ألوانا من حضارتها الأصلية، وطرائق تفكيرها، وأساليب جدلها الديني، والتحم كل ذلك في بداية الأمر بقصور لغوي حملهم على جهل ما للعربية من مستويات في التعبير، وبدا تعاملهم مع النص القرآني مرتبطا بما ترسموه من آراء"[٣].

وبالنظر إلى بعض العقائد الإسلامية التي سادت في هذه الفترة، نلحظ فيها شبهة تأثر بعقائد ديانات سابقة، مثل اليهودية والمسيحية، ويمكن إرجاع بعض آراء الفرق الإسلامية إلى جذور وأصول سابقة

---

(1) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عالم الأندلس، ولد بقرطبة، كانت له ولأبيه ولاية تخلى عنها زاهدا فيها، له آراء انتقد من أجلها، كان قوي الحجة، سليطا على مخالفيه، له مؤلفات، أشهرها: المحلى، توفي عام ٤٥٦هـ.
سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي ١/ ٣٧٢، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(3) مباحث في علم الكلام والفلسفة. الدكتور: علي الشابي ص ٢٥.

عليها، ويمكننا أن نعدد بعض القضايا الفكرية والعقدية التي نوقشت من قبل الفرق الإسلامية وظهر فيها واضحا التأثر بمؤثرات أجنبية زادت من هوة الخلاف بين تلك الفرق، وكانت عاملا له دور لا ينكر في نشأة الفرق وانقسامها (**فأفكار الرجعة**[١]**، والبداء**[٢]**، والمهدي**[٣] **وغيرها من آراء شيعية غالية يهودية الأصل**)[٤].

"وما أثاره نفر من المسلمين من نقاش حول الجبر والاختيار، كان بتأثير اللاهوت المسيحي"[٥].

---

(1) قال بذلك السبئية؛ فهم يزعمون أن علياً لم يمت، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً، ويقولون بأن الأموات يرجعون إلى الدنيا.

انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٨٦ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت. ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص ٢٣٣طبعة المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(2) هو أن الله يريد أن يفعل الشئ في وقت من الأوقات ثم لا يفعله لما يحدث له من البداء، وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها فإنما ذلك لأنه بدا له فيها، وقد قال بذلك بعض فرق الرافضة. انظر: مقالات الإسلاميين.السابق ١/ ١١٣.

(3) تزعم بعض فرق الشيعة أن المهدي الذي ورد ذكره في بعض الأحاديث إنما هو علي دون غيره، وذهب آخرون إلى أنه محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، وذهب آخرون منهم إلى أنه أبو الحسن العسكري الذي دخل السرداب منذ سنين، وكل هذا لا أصل له. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٣٤، ٢٣٩.

(4) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. الدكتور: علي سامي النشار ١/ ٦٨.

(5) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الدكتور: محمد علي أبو ريان ص١٢٧، دار

فالأثر الخارجي في نشأة علم الكلام عموما، وفي انقسام الفرق الإسلامية خصوصا، لا يمكن إغفاله، أو التغاضي عنه.

العامل الثاني: حركة الترجمة والتعريب:-

عاش المسلمون فترة من الزمن بمنأى عن تأثيرات العلوم العقلية عند الأمم الأخرى، التي كانت تسمى علوم الأوائل "فعلوم الأوائل كانت مهجورة في عصر الأموية"[(١)].

لكن عدة عوامل ساعدت على إخراج هذه العلوم، لعل أهمها أن الإسلام سوى بين معتنقيه عربا وعجما، وأتاح لهم قدرا من الحرية مكنهم من عرض آرائهم ومعتقداتهم، بل ومناقشة المسلمين في معتقداتهم، فاطلع المسلمون على تراث تلك الأمم، بل يذكر بعض مؤرخي الفكر الكلامي الأول أن بعض المتكلمين الأول من أصحاب واصل بن عطاء[(٢)] طالعوا كتب الفلسفة[(٣)].

النهضة العربية بيروت ١٩٧٦م

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ص٣٤، دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم. صديق حسن القنوجي١/ ١٧٩، تحقيق:عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.

(2) واصل بن عطاء البصري الغزالي، المتكلم البليغ، ولد سنة ٨٠ بالمدينة، كان ألثغ الراء فتجنبها في خطابه، تنسب إليه نشأة المعتزلة بعد انفصاله عن حلقة الحسن البصري، له "أصناف المرجئة"، "التوبة"، "معاني القرآن". لسان الميزان ٦/ ٢١٤رقم ٧٥٢.

(3) الملل والنحل. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١/ ٤٠، صححه وعلق عليه: الأستاذ: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

فعندما هاجم أعداء الإسلام عقيدة المسلمين التي تجمعهم، وذلك لإبعاد الناس عنها تسلحوا في هجومهم بالقضايا المنطقية، والحقائق الفلسفية، اضطر آنذاك فريق من المسلمين لقراءة الفلسفة للدفاع عن بيضة العقيدة بنفس أسلحة الأعداء، ولكن سرعان ما شعروا بلذة عقلية من دراسة هذه الفلسفة، فبعد أن كانت تطلب من أجل الدفاع عن الدين أصبحت غاية في نفسها تطلب لذاتها[١].

ولقد شجع الأمراء على مطالعة هذه الكتب، بل كان منهم من يأمر بترجمتها، ويعين على ذلك، فخالد بن يزيد بن معاوية[٢] أمر بعض العلماء اليونانيين الذين كانوا بالإسكندرية بترجمة الأورجانون[٣] من اليونانية إلى العربية[٤].

وتتابعت الترجمة بعد ذلك على يد الخلفاء حتى وصلت أزهى

---

(1) انظر:عضد الدين الإيجي في مواقفه.الدكتور:محمد رشاد دهمش ص٣٩ الأولى.

(2) خالد بن يزيد بن معاوية أمير المؤمين، ليست له صحبة، قال أبو حاتم: هو من تابعي أهل الشام، موصوف بالعلم، وكان يقول الشعر، مات سنة ٩٠ هـ. التاريخ الكبير ٣/ ١٨، تهذيب الكمال ٨/ ٢٠١، تهذيب التهذيب ٣/ ١١٠.

(3) الأورجانون: يعني آلة الفكر، وهي الكتب المنطقية لأرسطو، وهي: المقولات، العبارة، التحليلات الأولى (القياس)، التحليلات الثانية (البرهان)، الجدل، الأغاليط.

انظر: إطلالة على المنطق القديم. الدكتور: محمد رشاد دهمش. طبعة القاهرة –الأولى ١٩٩١ م.

(4) مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، الدكتور: علي سامي النشار ص٧٥ دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية –الطبعة الثالثة– بدون تاريخ.

عصورها على يد المأمون[١]، واتسعت لتشمل التراث الإنساني المتراكم عبر العصور السابقة منذ بداية الفكر الإنساني.

"فلم تكن الفلسفة التي تلقاها العرب هي فلسفة أفلاطون وأرسطو فحسب، بل كانت أيضا تلك الفلسفة التي صيغت خلال عدة قرون على أيدي من واصلوا فلسفتهما وشرحوها"[٢].

ولا شك أن هذه الترجمات أشاعت قدرا من الجدل الفكري حول هذا التراث، ما بين رافض له بالجملة، أو متحفظ عليه، أو مشجع لهذا النقل متحمس له، إلى جانب أنها أثرت في طرق التفكير عند بعض الفرق الإسلامية.

هذه أبرز العوامل التي ساعدت على نشأة الفرق الإسلامية المتعددة، وغذت روح الاستقلال الفكري لديها.

(1) أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، قرأ العلم والأدب والأخبار وعلوم الأوائل، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وعنه: أنه تلا في رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة، مات في رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة.

(2) تراث الإسلام، تصنيف: جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث ٢/ ٤٧، ترجمة الدكتور: حسين مؤنس، الدكتور: إحسان صدقي العمد. مراجعة الدكتور: فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة – الطبعة الثالثة صفر١٤١٩هـ يونيو١٩٩٨م.

obeikandl.com

المسألة الثانية
أهم مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية

قبل أن نستعرض أهم الخلافات بين الفرق الإسلامية، ينبغي أن ننبه على ما يلي:-

أولاً: أن الخلاف بين المسلمين لم يتناول أصول الدين وعقائده الثابتة، فلم يختلفوا - مثلا - في الوحدانية، ولا في ثبوت رسالة النبي ﷺ، ولا في كون القرآن كتاب الله تعالى المعجز، كما لم يختلفوا فيما علم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة والصيام، وحرمة الزنا والسرقة، فهذه أمور لا يتطرق إليها الخلاف.

ثانياً: أن كل مؤرخي الفرق في الإسلام يُصدِّرون مقالاتهم بحديث النبي ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة**»[1].

---

(1) الحديث رواه بألفاظ متقاربة:-
ابن حبان في صحيحه: ١٤/ ١٤٠ رقم ٦٢٤٧، وقال محققه: سنده صحيح.
وأبو داود في سننه: كتاب "السنة" باب "شرح السنة" ٤/ ١٩٧ رقم ٤٥٩٦.
والترمذي في سننه: كتاب "الإيمان" باب "ما جاء في افتراق هذه الأمة" ٥/ ٢٥ رقم ٢٦٤٠، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: كتاب "الفتن" باب "افتراق الأمم" ٢/ ١٣٢١ رقم ٣٩٩١، وأحمد في مسنده: ٢/ ٣٣٢.
والحاكم في المستدرك: ١/ ٧٤ رقم ١٠، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ورواه عن أنس:

ويعتمدون في تقسيمهم للفرق على هذا العدد الوارد في الحديث[١]، ويجتهدون في أن يصلوا بالفرق إلى هذا العدد الوارد، رغم ما على هذا المنهج من ملاحظات[٢].

ثالثاً: أن الخلاف قد حدث منذ وفاة النبي ﷺ بين الصحابة، وقد عدد مؤلفو كتب الفرق أوائل الخلافات التي حدثت في الأمة كما يلي:-

١) لما قال النبي ﷺ في مرضه: «**ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي**»[٣].

٢) لما قال ﷺ في مرضه: «**جهزوا جيش أسامة**»[٤].

ابن ماجه: كتاب "الفتن" باب "افتراق الأمم" ٢/ ١٣٢٢ رقم ٣٩٩٣ بزيادة "كلها في النار إلا واحدة".

وأحمد في مسنده: ٣/ ١٢٠، ١٤٥، والطبراني في المعجم الصغير:٢/ ٢٩ رقم ٧٢٤.

وفي الباب عن عوف بن مالك، وأبي أمامة.

(1) انظر: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي ص ٥-٩، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥.

(2) أورد هذه الملاحظات الدكتور: محمد عمارة في كتابه " الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية" ص ١٥٤-١٦٥، دار الهلال – بدون تاريخ.

وانظر: الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، لأستاذنا الأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم الفيومي. ص٥، ٦. دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(3) أخرجه البخاري: كتاب "العلم" باب "كتابة العلم" ١/ ٢٥١ رقم ١١٤.

ومسلم: كتاب "الوصية" باب "ترك الوصية لمن ليس له شيء" ٦/ ١٠٠ رقم ١٦٣٧.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣/ ١٣٠ رقم ٢٨٩١.

٣) في موته ﷺ لما زعم بعضهم أنه لم يمت، وإنما رفع كما رفع عيسى بن مريم.

٤) في موضع دفنه عليه السلام، في مكة أم في المدينة.

٥) في الإمامة بين رأي المهاجرين ورأي الأنصار.

٦) في أمر فدك[١] والتوارث عن النبي ﷺ.

٧) في قتال مانعي الزكاة[٢].

واعتبر الشهرستاني[٣] اعتراض المنافقين على النبي ﷺ في حياته نوعا من الجدل حول العقائد[٤].

لكننا لا يمكن أن نعد هذه الخلافات خلافات عقدية، ولا يمكن أن يبنى عليها آراء لفرقة أو مذهب، لأنها خلافات طبيعية سرعان ما تزول

ومصنف عبد الرزاق: ٦/ ٥٧ رقم ٩٩٩٣.

(1) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ صلحا عند فتح خيبر، فكانت خالصة له، وأرادت فاطمة إرثها بعد موته ﷺ فأبي أبو بكر رضي الله عنه لأن الأنبياء لا يورثون.

معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي ٤/ ٢٤٠ - دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

(2) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٣٩-٤٢، والفرق بين الفرق ص ١٤ -١٦.

(3) محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، من فلاسفة الإسلام، ولد في شهرستان، انتقل إلى بغداد عام ١٥٠هـ وأقام بها ثلاث سنوات، ثم عاد إلى بلده، وتوفي بها، له مصنفات كثيرة منها " الملل والنحل"، " نهاية الإقدام في علم الكلام"، " الإرشاد إلى عقائد العباد".وفيات الأعيان ١/ ٤٨٢، الأعلام ٦/ ٢١٥.

(4) الملل والنحل ١/ ١٠.

عندما يظهر وجه الحق فيها، ولا يبقى لها امتداد كي تسمى فرقة أو مذهبا، إنما المذهب أو الفرقة رأي يعتنقه أفراد، ويتبلور هذا الرأي، وتطلب له الأدلة، ويصبح معتقدا لهذه الفرقة "ذلك أن الفرقة، وهي اجتماع أناس متفرقين حول موقف ومبدأ وفلسفة ونمط متحد أو متقارب من أنماط التفكير، هي أمر يختلف عن الموقف الذي يتخذه فرد أو أفراد من قضية معينة، ثم يتغير هذا الموقف وتتبدل إزاءه مواقع الأفراد، وهذا هو ما حدث للذين طلبوا الإمارة لسعد بن عبادة[١]، وإذا كان بعض الأنصار قد ظل على اعتقاده بأن حالهم وحال المسلمين كان سيصبح أفضل لو وليها سعد بن عباده، ومع ذلك فإن أحدا لا يستطيع، ولا يحق له أن يسمي هذا البعض فرقة أو مذهبا"[٢].

رابعاً: أن الاختلاف بين الفرق الإسلامية، الأصل فيه أنه لا ينتج عنه تضاد بينها، بالمعنى الذي يصل إلى التفسيق أو التكفير فيما بينها، لأنه "لا توجد فرق دينية بالمعنى الذي تتشعب به الأمة الإسلامية كما يتشعب نهر النيل في مجراه الأعلى إلى فروع وترع، ويمكن القول بأن هناك مدارس فكرية، أو مذاهب فقهية، أو اختلافات تطبيقية محدودة"[٣].

---

(1) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد بدرا، وهو سيد الخزرج، وكانت معه راية الأنصار في المواطن كلها، مناقبه جمة، مات بحوران سنة ١٥هـ، وقيل ١٤هـ. الإصابة ٧/ ٥٤، التاريخ الكبير ٤/ ٤٤ رقم ١٩١١، تهذيب الكمال ١٠ / ٢٧٧، طبقات ابن سعد ٣/ ٦١٣.

(2) الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية. الدكتور: محمد عمارة ص١٥٣

(3) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الشيخ: محمد الغزالي ص ٢٦٢، ٢٦٣. دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

أما أبرز مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية فيمكن إجمالها فيما يلي:-

١- الإمامة:-

وهو أول خلاف حدث في الأمة، وكان تأثيره عظيما، حتى قال عنه الشهرستاني: "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان"[(١)].

والخلاف حول الإمامة كان من ناحيتين؛ الأولى: هل الخلافة بالاتفاق والاختيار أم بالنص والتعيين؟ والثانية: شروط الإمامة.

فبينما يرى أهل السنة ومعهم الخوارج والمرجئة والمعتزلة أن الإمامة بالاتفاق والاختيار؛ لأن النبي ﷺ لم ينص على من يخلفه من بعده، يرى الشيعة على اختلاف فرقهم أن الإمامة تكون بالنص والتعيين، أي أن النبي ﷺ نص على شخص يخلفه من بعده.

ومن يرون أن الخلافة تكون بالاتفاق والاختيار، يختلفون فيما بينهم في بعض الشروط، حيث يرى أهل السنة أن الاختيار منحصر في قريش، ولا يتقيد الخوارج بهذا الشرط، ويجعلونها عامة بين المسلمين جميعا.

ويبقى ثمة خلاف ليس رئيسا، حيث يذهب بعض فرق الخوارج إلى أنه لا حاجة إلى الإمام، وعلى الناس أن يتناصفوا فيما بينهم[(٢)].

٢- الحكم على مرتكب الكبيرة:-

برزت هذه المشكلة على الساحة مع تولي الأمويين للخلافة، حيث رأى بعض الناس أنهم ليسوا جديرين بالخلافة، فضلا عن أنهم ارتكبوا في سبيلها

---

(1) الملل والنحل ١/ ١٣.

(2) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٥، الملل والنحل ١/ ١١٩.

بعض الكبائر، كالقتل واغتصاب الأموال، فأعلن الخوارج كفر مرتكب الكبيرة حتى يتسنى لهم بذلك محاربتهم، وذهب فريق من المسلمين – حل بهم اليأس من التخلص من الدولة الأموية وهم المرجئة – إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن، وأن ما يرتكبه من كبائر لا يتنافى مع ما في قلبه من إيمان، ثم ظهر المعتزلة وأعلنوا أن فاعل الكبيرة لا هو مؤمن، ولا هو كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وكان رأي أهل السنة أنه مسلم عاص.

٣- مفهوم الإيمان:-

نتج عن الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة خلاف آخر حول العمل وموقعه من الإيمان، فذهب بعض أصحاب أبي حنيفة[١] ﷺ إلى أنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان لا يزيد ولا ينقص، وذهب الكرامية[٢] إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وذهب الجهم بن صفوان[٣] إلى أن الإيمان

---

(1) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ولد سنة ٨٠ هـ، ورأى أنس بن مالك، عُني بطلب الآثار، وإليه المنتهى في الفقه، كان خزازاً يبيع الخز، قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، توفي عام ١٥٠هـ. التاريخ الكبير ٨/ ٨١، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٩، تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٨.

(2) الكرامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرّام، كان يثبت الصفات الإلهية إلا أنه نتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، وهم طوائف متعددة، وقد دعا ابن كرّام إلى تجسيد معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته.
الملل والنحل ١/ ٢٩٩، الفرق بين الفرق ص٢٠٦.

(3) الجهم بن صفوان الخزري، وقيل: الترمذي، زعم أن الكفر بالله هو الجهل، وأن الجحود باللسان مع المعرفة لا يكفر صاحبه، أخذ بدعته عن الجعد بن درهم، نفي إلى ترمذ، ثم قتل بأصبهان، وقيل بمرو، قتله واليها مسلم بن أحوز، وقيل

هو المعرفة بالقلب.

٤- الجبر والاختيار: -

ظهرت هذه المشكلة في المجتمع الإسلامي بعد اختلاطه بالشعوب المختلفة، فأخذوا يبحثون هل للإنسان إرادة مستقلة يدبر بها أمره؟ أم أن الإرادة الإلهية مطلقة فيكون الإنسان مجبورا.

فقال المعتزلة بالقدر، وأن العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله[١].

وفي الاتجاه المضاد وقفت الجبرية بقولها: إن الإنسان لا يقدر على شئ، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار[٢].

وتوسط أهل السنة بين الطرفين؛ حيث قرروا أن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى، وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد، فأثبتوا للعباد فعلا وكسباً، وأضافوا الخلق لله تعالى[٣].

قتله: نصر بن سيار عام ١٢٨ هـ.لسان الميزان٢/ ١٤٢، ميزان الاعتدال١/ ١٩٧، البداية والنهاية ٩/ ٣٥٠.

(1) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٨، الفرق بين الفرق ص ١١٤، الملل والنحل ١/ ٤٠.

(2) مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٨، الفرق بين الفرق ص٢١١، الملل والنحل ١/ ٧٢، ٧٣.

(3) انظر في المسألة: رسالة "القضاء والقدر في الإسلام" د/ فاروق الدسوقي طـ دار الدعوة، وانظر: أفعال العباد في القرآن الكريم. د/ عبد العزيز المجدوب. الدار العربية.

٥- الذات والصفات:-

لم تبحث هذه المشكلة زمن النبي ﷺ، فقد آمن الصحابة رضوان الله عليهم بما جاء في القرآن والسنة متعلقا بالذات والصفات إيمانا لا تشوبه شائبة، فأثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه بلا تشبيه، ونزهوه تعالى من غير تعطيل، فلما ظهرت هذه المشكلة تباينت بصددها الآراء، فظهر تيار التشبيه والتجسيم على يد الرافضة والكرامية، وهناك فريق من المتكلمين أصحاب الحديث أثبتوا الصفات ولكنهم بالغوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه والتجسيم، وهو الحشوية، ويأتي على الطرف الآخر فريق ينفي الصفات، بدأ مع جهم بن صفوان، وأخذها عنه المعتزلة.

بينما ذهب أهل السنة إلى إثبات صفات الله تعالى، ولم يتعرضوا للتأويل، ولا للتشبيه، ولا للتجسيم، وهو ما يمثله قول مالك بن أنس لما سئل عن الاستواء فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[(١)].

٦- الكلام:-

مشكلة كلام الله تعالى من أهم المشكلات التي ظهرت على الساحة الإسلامية حتى سمي العلم بعلم الكلام[(٢)]، وقد ظهر في المسألة أقوال كثيرة، منها قول المعتزلة: إن الكلام ليس صفة من صفات الذات، فكلام الله - بما في ذلك القرآن - ليس أزليا، وأن كلام الله تعالى حادث وأكثرهم

---

(1) سبق تخريجه

(2) شرح المواقف لعضد الدين الإيجي ١/ ٤٥، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة. دار الجيل – بيروت، الأولى ١٩٩٧م

يسمون كلامه مخلوقا[١]، وقول أهل الحديث: إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما[٢].

٧- مشكلة السمع والعقل:-

ظهرت هذه المشكلة على الساحة الإسلامية لمعرفة مدى موقع العقل مع الشرع. هل يتقدم العقل؟ أم يتقدم الشرع؟ وإلى أي حد يعول على العقل في مجال العقائد والتشريع؟

"وهناك اتجاهات ثلاثة في هذه المشكلة عند متكلمي الإسلام، فالاتجاه الأول يقرر أصحابه أن العقل يتقدم الشرع، وهو اتجاه المعتزلة، والاتجاه الثاني يرى أصحابه تقرير سلطة الشرع وحدها، ولا يجعلون للعقل مدخلا فيما جاء به الشرع، ويمثل هذا الاتجاه بعض الحشوية والظاهرية ومن نحا نحوهم، والاتجاه الثالث يتوسط أصحابه بين هذين الطرفين، فيجعل الشرع متقدما على العقل، ولكنه مع ذلك يجعل للعقل مدخلا في فهم الشرع، وهو اتجاه أهل السنة والجماعة، ومنهم الأشعرية[٣]"[١].

---

(1) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٦٧ – ٢٧٠، الفرق بين الفرق ص١١٤

(2) شرح العقيدة الطحاوية، للإمام ابن أبي العز الحنفي ص ١٦٩، خرج أحاديثها:محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

(3) الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري، كانت نشأتهم متأخرة عن المعتزلة، وحدثت بينهم مناظرات كثيرة، برز منهم علماء كثيرون، منهم: الغزالي، الجويني، الباقلاني، وغيرهم كثير. انظر:في علم الكلام. دراسة فلسفية لآراء االفرق الإسلامية: الأشاعرة. الجزء الثاني الدكتور: أحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة

هذه أبرز المشكلات التي واجهت الفرق الإسلامية، والتي كانت سببا للخلاف بينها، وزادت من هوة التباعد بين أصحابها، فلكل فرقة رأي في هذه المشكلات، تعلنه وتنصره، وتلتمس له الحجج والبراهين، وتفرضه على الناس بالجدال والمناظرة تارة، وبالقوة والإرهاب والسلطان تارة أخرى، ولا سبيل للالتقاء بعد هذا الخلاف.

الجامعية ١٩٩٢م.

(1) علم الكلام وبعض مشكلاته، الدكتور: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ص ١٥٤. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٩م.

obeikandl.com